قصيدة عنوان الحكم

للشاعر الأديب أبي الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي
ولد في حدود سنة ٣٣٠ وتوفي سنة ٤٠٠ رحمه الله تعالى

ضبطها وعلق عليها
عبد الفتاح أبو غدة
ولد سنة ١٣٣٦ وتوفي سنة ١٤١٧
رحمه الله تعالى

مكتب المطبوعات الإسلامية

قصيدة عنوان الحكم

للشاعر الأديب أبي الفتح علي بن محمد بن الحسين البُستي

ولد في حدود سنة ٣٣٠ وتوفي سنة ٤٠٠ رحمه الله تعالى

ضبطها وعلق عليها

عبد الفتاح أبو غدة

وُلد سنة ١٣٣٦ وتوفي سنة ١٤١٧
رحمه الله تعالى

مكتب المطبوعات الإسلامية

الطبعة الأولى بمطابع دار عالم الكتب ببيروت ١٤٠٤
الطبعة الثانية بالمكتبة العلمية بلاهور باكستان ١٤٠٤
الطبعة الثالثة (المتن فقط) مع رسالة «من أدب الإسلام» ببيروت ١٤١٢
الطبعة الرابعة ببيروت ١٤١٢
الطبعة الخامسة ببيروت ١٤٢٧

قامت بطباعته وإخراجه شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م
بيروت - لبنان - ص. ب: ٥٩٥٥ - ١٤ ويطلب منها
هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣ / ٠٠٩٦١١
e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وليِّ الحمدِ والهدايةِ والرشاد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي ، الذي أرسله الله خيرَ قُدوةٍ للعِبَاد ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان واسترشاد .

وبعد فهذه قصيدةٌ ناصِحةٌ حِكَمِيَّة ، للأديب الأريب الشاعر الناثر اللبيب أبي الفتح علي بن محمد بن الحسين البُستي ، المتوفى سنة ٤٠٠ رحمه الله تعالى ، اعتنيتُ بإخراجها ونشرها رجاءَ انتفاع الطلبة والناشئة بها ، فإنها من خير ما يُحفِّظه الآباءُ للأبناء والمعلِّمُ للمتعلِّم ، لوضوح معانيها ، وجزالة ألفاظها ، واستقلال أبياتها ، حتى صار كل بيت منها مثلاً بذاته .

ترجمتُ لمؤلفها ، واكتفيتُ بضبطها والتعليق عليها ـ بإيجاز ـ فيما لمحتُ فيه الغموضَ في بعض المواضع منها ، وأرجو من الله تعالى أن ينفع بها كلَّ قارىء ومسترشد ، وهو ولي التوفيق ، والحمد لله رب العالمين .

ترجمة أبي الفتح البُسْتي صاحب قصيدة :
عُنوانِ الحِكَم

هو أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين البُستي ، الشاعر الناثر ، والأديب الأريب ، والمحدِّث الفاضل ، والفقيه الشافعي . وُلِدَ في مدينة بُسْت من بلاد أفغانستان الآن في حدود سنة ٣٣٠ [(١)] .

سمِعَ الحديثَ الشريف من محدِّثي بلاده، من أصحابِ الحافظ الكبير المعمَّر علي بن عبدالعزيز البغوي ثم المكي شيخ الحرم وأقرانِهِ، وأكثَرَ من سماع الحديث من الإمام الحافظ أبي حاتم بن حِبان البُستي، وكان صديقاً لبلديِّه الإمام المحدِّث الفقيـه الأديب أبي سليمان الخَـطَّابي البُستي، صاحب « معـالم السنن» وغيرِهِ من الكتب النفيسة الممتازة.

ورَوَى عنه الحديثَ الإمامُ الحاكم أبو عبد الله النيسابوري ،

---

(١) ولم أقف على تاريخ ولادته في مصدر من المصادر التي رجعتُ إليها ، وذكَرَ صاحبُ « معجم المؤلفين » فيه ٧ : ١٨٦ تاريخَ ولادته سنة ٣٦٠ . ولا يصح هذا بحال أبداً ، فإنَّ أبا الفتح البُستيَّ قد أَخَذ الحديثَ عن الإمام الحافظ أبي حاتم بن حِبَّان البُستي بَلَدِيِّه ، وأبو حاتم هذا توفي سنة ٣٥٤ ، فكيف يأخذ عنه من ولدَ سنة ٣٦٠ ؟! وأقدِّرُ أن ولادته كانت في حدود سنة ٣٣٠ ، لأنه إذْ (أكثَرَ من سماع الحديث من شيخه الحافظ ابن حبان) المتوفى سنة ٣٥٤ ، فعلى أقل تقدير ينبغي أن يكون عمره في سنة وفاة شيخه ابن حبان بين ٢٠ و٢٥ سنة . والله أعلم .

صاحبُ « المستدرك على الصحيحين » ، وأبو عثمان الصابوني ، والحسين بن علي البَرْذَعي ، وغيرُهم . قال الحاكم : « وَرَد نيسابور غيرَ مرة ، فأفاد حتى أقرَّ له الجماعةُ بالفضل ، وهو أَوْحَدُ عصره في بابه » . يعني في الأدب والشعر وحسن البيان والكتابة ، إلى جانب أنه محدِّث فقيه . وقال السمعاني في « الأنساب » ٢ : ٢٢٦ « وهو أَوْحَدُ عصرِهِ في الفضل والعلم والشعر والكتابة » .

ولقد كان أبو الفتح رحمه الله تعالى شاعرَ عصره ، وكاتبَ دهره ، وأديبَ زمانه ، في النظم والنثر كما شهد له بذلك معاصروه ، وله شعر رائق تكثُرُ فيه الحِكَمُ والمعاني البديعة ، كما تَشيع فيه الصَّنْعَة البلاغية العذبة ، وله ديوان شعر مطبوع ، وله مدائح كثيرة في الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وله « شرح مختصر الجُوَيْني » في فقه السادة الشافعية ، ذكره له صاحبُ « كشف الظنون » فيه ٢ : ١٦٢٦ .

وله نثر رائع بديع ، يُكثِرُ فيه التجنيسَ والتبديع ، فمن أقواله الحكيمة التي جَرَتْ مَجرى الأمثال : من أصلَح فاسدَه ، أَرغَم حاسدَه . من أطاع غضبَه ، أضاع أدبَه . عاداتُ السادات ، ساداتُ العادات . من سعادةِ جَدِّك ، وقوفُك عند حَدِّك . الفَهْمُ شُعاعُ العَقْل . حَدُّ العفاف ، الرضا بالكفاف . المَنِيَّة ، تَضحكُ من الأُمْنِيَّة . الدَّعة ، رائدُ الضَّعَة . من حَسُنَتْ أطرافُه ، حَسُنَتْ أوصافُه . أحصَنُ الجُنَّة ، لزومُ السُّنَّة . العَقْل ، جِهْبِذُ النَّقْل . الإنصاف ، أحسَنُ الأوصاف . إذا بقي ما قاتَك ، فلا تأسَ على ما فاتَك .

وقد ترجم له صاحبُه الإمامُ الأديب المؤرخ أبو منصور الثعالبي ، في كتابه « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » ٤ : ٣٠٢- ٣٣٤، في اثنتين وثلاثين صفحة ، فأطنب وأسهب في مدحه والثناء عليه ، وأورد من نثره

العالي وشعره البديع في مختلِف الأغراض الشيءَ الكثير . وله بيتان من أفضل ما قيل في رَسْم خِطَّةِ خدمة الملوك والأمراء والحكام ـ وقد صاحَبَهم وعاملَهم ـ وهما قولُه رحمه الله تعالى :

إذا خَـدمـتَ الْمُلُـوكَ فـالْبَـسْ   مِـنَ التـوقِّـي أعـزَّ مَلْبَـسْ
وادْخُـلْ عليهـم وأنـت أعمَـى   واْخرُجْ إذا ما خَرجتَ أخرَسْ

وقد كان هو من كتَّاب الدولة السَّامانية في خراسان ، وارتفعت مكانتُه عند الأمير سُبُكْتِكين ، وخَدَم ابنَه يمينَ الدولة : محمودَ بن سُبُكْتِكين ، ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر ، فمات غريباً في بلدة أُوْزْجَنْد ببخارى سنة ٤٠٠ أو بعدها بسنة أو سنتين ، رحمه الله تعالى .

وقصيدته هذه تُسمَّى : (عُنوانَ الحِكم) ، كما ذكره التاج السبكي في ترجمته في « طبقات الشافعية الكبرى » ٥ : ٢٩٤ . وقال العلامة أحمد بن علي المَنِيني الدمشقي المتوفى سنة ١١٧٢ ، في كتابه : « الفتح الوَهْبي على تاريخ أبي نصر العُتْبي » ١ : ٦٨ ، عند ذكر العتبيّ لصاحبه أبي الفتح البستي في « تاريخه » :

« وأكثَرُ أشعار أبي الفتح البستي مقطَّعات ، وأبياتها أبياتُ القصائد ، وفرائدُ القلائد ، وأطولُ قصائده وأشهرُها قافيتُها النونية في الأمثال ، يَستهيم في حفظها وروايتها أهلُ الأدب ، ويُعنَى بها الناسُ حتى الصبيانُ في المكتب ، ومطلعها : زيادةُ المرءِ في دنياه نقصان » . انتهى .

وقد شرحها غيرُ واحد من العلماء، وممن شرحها ذو النون بن أحمد السُّرْمَاري البخاري ثم العَيْنتابي ، المتوفى سنة ٦٧٧ ، وتُرجِمَتْ

إلى الفارسية ، ذكر ذلك صاحبُ « كشف الظنون » فيه ٢ : ١٣٣٦

والحقُّ أنها قصيـدة تَفيضُ بالنصح والهداية والتبصير ، مع العذوبةِ والفصاحةِ والجزالة ، وحُسنِ الصَّنعَة البلاغيةِ الرشيقة ، فهي كما قال ناظمُها رحمه الله تعالى في أوائلها :

وأَرْعِ سَمْعَك أمثالاً أُفَصِّلُها كما يُفَصَّلُ ياقُوتٌ ومَـرْجَانُ

وهي أنطَقُ دليل على رِفعةِ أدبه ، وبلاغةِ بيانه ، وكِيَاسةِ فكره ، وصلاح نفسِه ، وقد ضمَّنها النصائح الغالية ، والمواعظ البليغة الواعية ، فهي لآلىء منثورة ، وجواهر منظومة ، وكلُّ بيتٍ منها حكمةٌ مستقلةٌ بنفسه ، يُغني عن قراءة رسالة أو كتاب ، فهي من خيرِ الشعر الحِكَميِّ وأبلغِه .

قال الإمام الأديب أبو بكر الصُّولي ، في كتابه « المصون » ص٩ :
« وخيرُ الشعر ما قام بنفسه ، وكَمَل معناه في بيتِه ، وقامت أجزاءُ قِسمتِه بأنفسِها ، واستُغني ببعضها لو سُكت عن بعض ، مِثلُ قولِ النابغة :

فلستَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّـهُ على شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ ؟

فهذا أجَلُّ كلامٍ وأحسَنُه ، ألا تَرى أنَّ قوله : (فلستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه) ، كلامٌ قائم بنفسِه ، فإن زدتَ فيه : (على شَعَثٍ) ، كان أيضاً مستغنياً ، ولو قلتَ : (أيُّ الرجالِ المهذَّبُ ؟) ، وهو آخِرُ البيت ، مُبْتَدِئاً به كمَثَلٍ أردتَه ، كنتَ قد أَتيتَ بأحسنِ ما قيل فيه » . انتهى .

ومن أجل أنَّ هذه القصيدة تضمنت النصائحَ السامية ، وجاءت

على هذا المِنوال ، ألحقتُها بكتاب « رسالة المسترشدين » للإمام المحاسبي في طبعتها الخامسة، مع كثرةِ ما حواه الكتابُ من النصائح والمواعظ والإرشاد القويم ، وذلك لأنَّ للشعر تأثيراً على المشاعر لا يُشاركه فيه النثرُ وإن سَمَا وجَزُل ، فالشعرُ بجَرْسِه ووَزْنِه و جزَالتِه وبلاغتِه ، يَفعلُ في النفس ما لا يفعله النثر . وكلُّ هذا متحقق في هذه القصيدةِ : (عنوانِ الحِكَم) ، ولقد صَدَق أبو الفتح رحمه الله تعالى ، إذْ سمَّاها أمثالاً ، فقال في آخِرها :

خُذْها سَـوائرَ أمثـالٍ مُهذَّبـةً   فيها لمن يَبتغي التِّبيانَ تِبيانُ

* * *

والنَّصُّ المثبَتُ فيما يأتي استَقيتُه من « شرح القصيدة النونية » للأستاذ حسين عوني العربكري، أحدِ العلماء الأدباء الأتراك، المدرسين في جامع السلطان بايزيد في إصطنبول رحمه الله تعالى . وقد فَرَغ من الشرح تأليفاً في أواسط شعبان المعظم من سنة ١٣١١ ، وطُبع في إصطنبول سنة ١٣١٢ ، في ١٢٧ صفحة من الحجم اللطيف .

وجاء في بعض الأبيات رواياتٌ متعددة ، أشار إلى بعضها الشارحُ حيناً ، ووقفتُ عليها حيناً آخر في مصادر ترجمة أبي الفتح البُستي أو مصادر قصيدته ، فانتَخبتُ من تلك الروايات أفضلَها بحسب نظري الضعيف وأثبتُّه ، دون الإشارة إلى الروايات الأخرى ، أو إلى المصادر المستفادِ منها ، خشيةَ الإثقالِ بكثرة التعليقات ، والانتقالِ بالقصيدة من حال الاتعاظ بها والاسترشادِ ، إلى حالِ التحقيق العلمي للنصوص والتمحيص فيها والموازنة بينها .

وعلَّقتُ على بعض الأبيات منها كلماتٍ يسيرة ، لإيضاح معناها ،

وبيان مغزاها ، وتركتُ ما كان من أبياتها واضحَ المعنى والمبنى دون تعليق .

تنبيه على الخطأ في نسبة القصيدةِ إلى غير ناظِمها

نَسَب هذه القصيدة إلى ناظمِها أبي الفتح البُستي غيرُ واحد من العلماء الذين ترجموا له ، أو أوردوا هذه القصيدةَ أو بعضَها في كتبهم ، فهي في « ديوانه » المطبوع موزعة في ص٧٣-٧٤ وص٧٧ وص٧٩-٨٠ ، ومجموعها فيه ٦١ بيتاً ، وأورد بيتين منها ابنُ الجوزي في « المنتظم » ٧ : ٧٣ ، وأورد أبياتاً كثيرة منها التاجُ السبكي ، في « طبقات الشافعية الكبرى » ٥ : ٢٩٤ ، وساق السَّنَدَ المتصلَ به إلى ناظمها البُستي .

وكذلك نَسَب جملةَ أبيات منها الجمالُ الأَسْنَوي ، في « طبقات الشافعية » ١ : ٢٢٢ ، وأورد القصيدة بتمامها الشيخُ أحمد الهاشمي في « جواهر الأدب » ٢ : ٤٣٠ ، ونَسَبها إلى البستي ، وكذلك نسبها إليه الأستاذُ خير الدين الزركلي في « الأعلام » ٥ : ١٤٤ ، واكتَفَى بذكر مَطْلَعِها : « زيادةُ المرء في دُنياه نُقصانُ » .

ولكنه بعد أن جَزَم بنسبتها إلى أبي الفتح البستي ، قال في حاشية ترجمتِهِ وهو يعدِّدُ مصادرها ما يلي : « والعُتْبي ١ : ٦٧-٧٢ ، وفيه : « أطولُ قصائدِه وأشهرُها التي مطلعها : زيادةُ المرء . قلتُ : وفي الحُلَل السُّنْدُسِيَّة للأمير شكيب أرسلان ٣ : ٥٤٦ ، أنَّ « زيادة المرء » من نظم أبي البقاء صالح بن شريف الرُّنْدِي ؟ » . انتهى كلام الزركلي ، وقد أشار في آخره إلى استغراب نسبتها إلى الرُّندي ، بوضع علامة التعجب في آخر كلامه .

وقد وقع في كلام الزركلي هذا أغلاط ! أولاً في قوله : « والعتبي

١ : ٦٧-٧٢ » . وهذا الموضع المشار إليه ليس للعتبي ، وإنما هو للمَنِيني . ثانياً في نقله عن العتبي أنه قال : « أطول قصائده وأشهرها التي مطلعها : زيادةُ المرء » . وهذا الكلام لا صلةَ للعتبي به ، وإنما هو للمَنِيني أيضاً ، كما سبق مني نقلُه عنه من كتابه « فتح الوَهْبِي على تاريخ العُتْبِي » ١ : ٦٨ . ثالثاً في قوله : « وفي الحلل السندسية ٣ : ٥٤٦ أن « زيادة المرء » من نظم أبي البقاء صالح بن شريف الرُّنْدِي » .

ولدى رجوعي إلى كتاب « الحلل السندسية » المذكور ، تبيَّن أن الأستاذ الزركلي رحمه الله تعالى قد وَهِمَ كلَّ الوَهَم فيما نسبه إليها ، فقد جاء في أواخر « الحلل السندسية » ٣ : ٥٣٣ ما يلي :

« والآن نختم هذا الفصل الذي هو خاتمة الجزء ، بذكر مَراثي الأندلس ، بادئين بمراثي بَلَنْسِيَة . . . » . ثم جاء في ٣ : ٥٤٦ « وهذه النونية التي فاقت في الشهرة (قِفا نَبْكِ)، ولم يَعهد الناسُ مَرْثِيَّةً بلغَتْ ما بلغَتْه من إثارة الحفائِظ ، وإرهافِ العواطِف ، فضلاً عن إبداع النظم وإحسان السَّبْك ، للعلامة خاتمةِ أدباء الأندلس صالح بن شريف الرُّنْدِي ، المعروف بأبي البقاء الرُّنْدي :

لكل شيء إذا ما تَمَّ نُقصانُ فلا يُغَرَّ بِطِيبِ العيشِ إنسانُ » .

ثم ساق القصيدة إلى آخرها في ٤٢ بيتاً .

فلم يكن في « الحلل السندسية » تعرُّضٌ مَّا لقصيدة أبي الفتح البستي : « زيادة المرء . . . » ، لا من قريب ولا من بعيد ، والموضع المشار إليه في كتاب « الحلل السندسية » هو موضعٌ لذكر (مراثي الأندلس) كما سبق نقلُ عبارته ، فلا صلة لقصيدة « زيادة المرء » به ،

ولا صلة لأبي البقاء صالح بن شريف الرُّندي بهذه القصيدة ، وإنما سَبَق ذِهنُ الأستاذ الزركلي وقلَمُه ، وسَهَا عند كتابة هذه العبارة فوَهِمَ بها ! ثم تابعه متابعون !

ومن العجب العجيب أن الأستاذين الفاضلين محقِّقَيْ « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكي ، جَعَلا ما ذكره الزركلي على سبيل الاستغرابِ ووَهِمَ فيه في نسبة القصيدة : قولاً وارداً في نسبتها ، ثم استدركا عليه ، فقالا تعليقاً على عَزْو التاج السبكي لها إلى البستي ما يلي :

« وقد ذكر الأستاذ الزركلي في الأعلام ٥ : ١٤٤ ، قال : « وفي الحلل السندسية ٣ : ٥٤٦ أنَّ زيادة المرء من نظم أبي البقاء صالح بن شريف الرُّندي » . والقصيدةُ في « ديوان البستي » ص٧٣ » . انتهى كلامهما . وقد قلَّدا فيه السَّاهِيَ ! واستدركا عليه ! وطَوَيا مِن كلامه إشارةَ التعجُّب !

وأعجَبُ من صنيعهما صنيعُ الأستاذ الفاضل محقق « طبقات الشافعية » للأَسْنَوي ، فقد تابَعَهما في تعليقه على ترجمة البستي فيها ١ : ٢٢٢ ، مستدركاً على الأسنوي إذْ عزا القصيدة للبستي في ترجمته ، فعلَّق على ذلك بقوله :

« وفي كتاب الحلل السندسية ٣ : ٥٤٦ « أن هذه القصيدة لأبي البقاء صالح بن شريف الرندي » . وقد تداولتها بعضُ الكتب منسوبةً إليه » . انتهى كلام محقق « طبقات الأسنوي » . فزاد عليهما بُعداً من الصواب ، إذ جَعَل ما وَهِمَ فيه الزركلي كلاماً له وتحقيقاً من عنده ! وطَوَى ذكر الزركلي الذي هو صاحب هذا القول الموهوم !

وسبب الوقوع في هذا الغلط من أولئك الأفاضل : متابعتهم لكلام الزركلي الذي وَهِمَ فيه ، فقد اعتمدوه دون مراجعة الكتاب الذي عزا إليه ما ليس فيه ! وكم يقع للمرء من الأوهـام إذا سلك هذه الطريقة ، فاقتضى المقامُ بيانَ ذلك ، والله ولي التوفيق ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

في الرياض ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٢ عبد الفتاح أبو غُدّة

استدراك وتتمة

بعدَ مدةٍ بعيدة من كتابتي ما تقدم ، وإرسالِهِ إلى المطبعة في بيروت ، وقفتُ على كتاب : « أبو الفتح البُستي حياتُه وشعرُه » للدكتور محمد مُرْسِي الخُوْلي رحمه الله تعالى ، مطبوعاً في بيروت سنة ١٩٨٠ ميلادية ، طبعته دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، في ٣٧٧ صفحة . وقد كنت رأيت في تعليق الفاضلين محققي « طبقات الشافعية الكبرى » عليها في الجزء ١٠ : ٣٠ و ٦٢٧ أن ديوان البستي من هذه النسخة المحققة للخولي غير مطبوع .

فلما وقفتُ عليه مطبوعاً ، ومعه الدراسة الوافية لجوانب حياة الشاعر أبي الفتح البُستي ، فَرِحتُ بذلك جداً ، واستفدتُ من الدراسة الأدبية التي كتبها الدكتور الخولي استفادةً غالية ، وقد خَصّ فيها هذه القصيدة بصفحاتٍ طويلة ، فأنا أنقلُ هنا من كتابه المذكور ، ما يتصل بالقصيدة في أغراضها ومقاصدها ودراستها ، باختصارٍ وتعديلٍ يسير ، وأُلحِقُه بما قدَّمتُه لتتم الفائدةُ لقارئي هذه القصيدة .

قال الدكتور الخولي في كتابه المذكور ص ١٠٣و ١٠٨ ، في (الفصل الرابع) عن (أبي الفتح الشاعر) : « نَظَم أبو الفتح في كثير من الأغراض التي طَرَقها الشعراءُ قبلَه على مَرِّ العصور ، وتناوَلَ هذه

الأغراضَ بما يُلائمُ نفسَه وبِيئتَهُ وشخصيته ، فمدَحَ وهَجَا ، وقال في الفخرِ والتغزُّلِ والإخوانياتِ والشكوى والحكمةِ والمواعظِ والأمثالِ وغيرِها . . .

أما شعره فهو شعرٌ سَيَّار ، بما حَفَل به من ألوانِ الصنعة البديعيَّة ، من جِناس وطِباقٍ وغيرِ ذلك ، ويَذكُرُ بَراوْن : أنَّ الناس في مَقاهي القاهرة كانوا يُرَدِّدُون شعرَه ، كما أنَّ نونيته الشهيرة ، كانت تُحفَّظُ للتلاميذ في كل العالم الإسلامي ، لكثرةِ فوائدِها وعظيم عوائدِها ، ويَفخَرُ أبو الفتح بسَيْرُورةِ شِعرِه فيقول لممدوحه :

رُبَّ شِعرٍ لما مَدَحْتُك فيه ... سَارَ في العالَمِينَ بُعْداً وقُرْبَا
فكأني أودَعْتُه فَلَكَ الشَّمْـ ... ـسِ فعَمَّ البلادَ شَرْقاً وغَرْبَا » .

ثم شرح الدكتور هذه الأغراض بإيجاز، إلى أن انتهى إلى غَرَضِ: الحكمةِ والمواعظِ والأمثالِ، فقال في ص ٣٥ ـ ١٥٠ و ٢١٤ :

« كان أبو الفتح يستعمل كثيراً من معلوماته ، في الطِّبِّ والتنجيم والفقهِ وغيرِ ذلك في شعره ، ويَشغَلُ هذا الغرضُ ـ الحكمةُ والمواعظُ والأمثال ـ حيزاً كبيراً من شعرِ أبي الفتح . ونظرةٌ عاجلةٌ في ديوانه ، تُرينا إلى أيِّ حَدٍّ كان مُغرَماً بهذا اللون ميَّالاً إليه ، وهو يَعرف هذه الحقيقة وَيصِفُ نفسَه بالحِكمةِ في قوله :
صادِقُ الوَعْدِ والوعيدِ جميعاً ... ولسانُ الحكيمِ غيرُ كذوبِ

وقد يكون لاشتغال أبي الفتح بالتعليم في أوَّلِ أمرِه دَخْلٌ في مَيْلِه إلى إسداء النصح وتوجيهِ الموعظة ، وإن كنا لا نشك في أنَّ لِمَا كان يمتازُ به أبو الفتح من نفس خيِّرةٍ تُحِبُّ الناسَ جميعاً ، وترجو لهم الهدايةَ والسداد أكبرَ الأثر في ذلك .

ولقد استَمدَّ أبو الفتح حِكمتَه وشعرَه التعليمي ، الذي شَمِل معظمَ نواحي الحياةِ والمجتمعِ والكونِ من مصادِرَ عديدة ، أهمُّها :

١ ـ تجاربه وآراؤه الخاصة في الحياة ، ولقد كانت نفسُه غنيةً بذلك لأنه تقلَّبَ بين سَرَّاءِ العيش وضَرَّائِه ، وذاق شُهدَهُ وصَابَهُ ، واتصل بالناس اتصالاً وثيقاً عميقاً ، على اختلاف طبقاتهم وتنوُّعِ مذاهِبهم ومَشارِبهم .

٢ ـ ثقافتُه الواسعة التي كانت تَشمُل الثقافَة العربية الإِسلامية ، ثم الثقافةَ الفارسيةَ بحكم بيئته وموطنه ، ثم الثقافة اليونانيةَ التي تعلَّمها المسلمون في وقتٍ مبكر وبَرَعُوا فيها ، وأخيراً الثقافةَ الهنديةَ التي عرَفها المسلمون عن كَثَبٍ وكان الفضل في ذلك يَرجع إلى أمير غَزْنَة ناصرِ الدين سُبُكْتِكِين ، ثم إلى ابنِهِ السلطان محمود من بعدِه وغزواتِهما الموفقة فيها .

هذان المصدرانِ اللذانِ أمدَّا أبا الفتح بحكمته ، لم يكونا بالطبع منفصلين في شعره ، بل كان كلٌّ منهما يُمِدُّ الآخَر ويُقوِّيه ، بحيث تلازما ولم يَطْغَ أحدُهما على الآخَر ، فثقافتُه كانت تُقرِّرُ تجارِبَه وتؤكدها ، كما أنَّ تجاربه كانت تُبرِزُ هذه الثقافةَ وتجعلُها نابضةً بالحياة .

ويمكننا أن نُورِدُ هنا بعضَ الأمثلة على حكمةِ أبي الفتح ونظراتِه في مختلِفِ مَناحي الحياة ، وما استَخدَمَه لتوضيحها وتقريرها من ألوانِ ثقافاته المختلفة ، فمن ذلك قولُهُ :

خُـذ العفوَ وأْمُـرْ بعُـرْفٍ كمـا   أُمِـرتَ وأعِرضْ عن الجـاهِلينْ
ولِنْ في الكلامِ لكـلِّ الأنـامِ   فمُستَحْسَنٌ من ذوِي الجاهِ لينْ

فالبيت الأول مقتَبَس من قوله تعالى : ﴿ خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ

وأعرِضْ عن الجاهلين ﴾ ، والثاني من قوله جل شأنه : ﴿ فبِمَا رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم ﴾ .

وقولُهُ :

لا تَيْأَسَنَّ لِعُسْرَةٍ فوراءَهَا يُسْرانِ وَعْداً ليس فيهِ خِلافُ
كم عُسْرةٍ قَلِقَ الفتى لِنزُولِها للهِ في إعسارِها أَلطافُ

البيتُ الأول مقتبسٌ من قوله تعالى : ﴿ فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً ، إنَّ مَعَ العُسْرِ يسراً ﴾. والبيتُ الثاني من قوله تعالى : ﴿ عَسَى أن تَكْرَهُوا شيئاً وهو خَيرٌ لكم ﴾ .

ومن اقتباساتِهِ من أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قولُهُ:

بين من يُعطِي ومن يَأْ خُذُ في التقدير : عَرْضُ
فيَدُ المعطِي : سَماءٌ ويَدُ الآخِذِ : أَرْضُ
وعلى الآخِذِ أن يَشْـ كُرَ إنَّ الشكرَ فَرْضُ

فهو تصويرٌ لقوله صلى الله عليه وسلم : « اليدُ العُلْيا خيرٌ من اليَدِ السُّفْلَى » .

وقولُهُ ، وهو مأخوذ من الحِكمة العربية الإسلامية :

نَصِيبُك من سَفِيهٍ أو فَقِيهٍ ففي هذا وذا حِصنٌ وحُسْنُ
فإنْ سالمتَ فالفقهاءُ حُسْنٌ وإنْ حاربتَ فالسفهاءُ حِصْنُ

مأخوذ مما يُروَى عن عبد الله بن عمر ، من أنه كان إذا سافر سافرَ معه بسفيه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إذا قابَلَنا سفيهُ قومٍ رَدَّ عنا سَفاهتَه ، فإنا لا ندري بمَ نُقابِلُ به السفهاء (١) .

---

(١) من « بهجة المجالس » لابن عبد البر القرطبي ١ : ٦١٩ .

ومن اقتباساته من الحكمةِ الفارسية قولُهُ :

إذا وُلِّيتَ فـاعْمُرْ مـا تَلِيـهِ بِعَـدْلِـكَ فـالإمارةُ بـالـعِـمَـارَهْ
وأفْضَـلُ مُستشـارٍ كـلَّ وقتٍ زمـانُكَ فـاقتبِس منـه الإشـارَهْ

مأخوذٌ من وصية أُرْدَشِير بن بابَك إلى الملوك من بعدِه :

« لا مُلْكَ إلّا بالرجال ، ولا رجالَ إلّا بالمال ، ولا مالَ إلّا بالعِمارة ، ولا عِمارة إلّا بالعدل » (١) .

ومن أخذِهِ من الفلسفة اليونانية ، التي تَعتبِرُ العقلَ هو المقياسَ الصحيحَ للعلم قولُهُ :

إذا نَقَل الراوون قولاً ولم يكن له من ذوي الإتقانِ والذهنِ مأخَذُ
فأولَى بذي التمييز والحزمِ عَرْضُه على العَقْلِ إنَّ العَقْلَ للذهنِ جِهْبِذُ(٢)

ومن استعماله لبعض الحِكَم الهندية قولُهُ :

إذا خَـدمتَ المـلوكَ فـالْبَسْ مـن التـوقِّـي أعـزَّ مَـلْبَسْ
وادخُـلْ إذا مـا دَخلتَ أعمى واخرُجْ إذا ما خَرجتَ أخرَسْ

فهو مأخوذ من الحكمة الهندية التي تقول : لا أَرى ، لا أسمَع ، لاأتكلَّم . وقولُهُ :

قـيـل لـلكُـرْكِـيِّ إذْ قـا مَ على الـرِّجْـلِ الـوحيـدَهْ
لِـمَ لا تَـعـتَـمِـدُ الـرِّجْـلَيـ ـنِ فـي الأرضِ الـوَطِـيـدَهْ
قـال : إشفـاقـاً على النّـا بِـتِ فـيـهـا أَنْ أُبِـيـدَهْ

---

(١) من « بهجة المجالس » لابن عبد البر القرطبي ١ : ٣٣٤ .

(٢) الجِهْبِذُ : النقّاد البصير الخبير .

ونحن نُحسُّ في هذه الأبيات بنَفْسِ الرُّوح التي تَسْرِي في قصَص « كلِيلة ودِمْنة » وحكايتِها على ألسنةِ الطيور والحيوانات .

لقد اقتصرنا على ذكر بعض الأمثلة لاستمداد أبي الفتح من الثقافات المختلِفة في شعره ، لأن الأمر يطول بنا لو حَصرنا كلَّ ما ورد في شعره ، واستقصينا الأساسَ الذي أَخَذ منه ، لكن بصفةٍ عامة يمكننا أن نقول : إنَّ أبا الفتح فضلاً عما استخدمه من ألوان ثقافته الإسلامية الواسعة : فقد استَمدَّ من معارف الهند في النجوم والأخلاق ، وما عَرَف من الفُرْس من كتب الأخلاق والسياسة والنجوم .

وظَلَّ أبو الفتح قريباً من سَطح هذه الثقافات ، يأخذُ منها ما كان متفقاً مع العقل والتجارِبِ الإنسانية الصحيحة ، التي كَسَبها الإنسان في مسيرته الطويلة نحو التقدم ، فيُودِعُها شِعرَه ، رغبةً في تثقيفِ عقول الناشئة ، واستفادتِهم من هذه التجارب الغالية في حياتهم .

وتحقيقاً لهذه الغاية لم يكتف أبو الفتح بما نَظَمه من مقطَّعاته في الحكمة ، بلْ آثَرَ آخِرَ الأمر أن ينَظِم جُلَّ ما قاله في هذا الغَرَض ، في قصيدةٍ طويلةٍ تُعَدُّ أطولَ ما نَظَم أبو الفتح من شعر ، فهي في ستين بيتاً ، ضَمَّ فيها كلَّ ما فرَّقه في « ديوانه » من حِكمة ، مُبسِّطاً لها ملخِّصاً إياها . كي يسهل حفظُها وفَهْمُ ما فيها من معاني الحكمة والفضيلة .

وقد أراد الله لهذه القصيدة أن تَذِيع وتَنتشر ، وأن يَختارها المعلِّمون في مختلِف بقاع العالم الإسلامي ، ليَحفظها الطلبةُ ، لِما لَمَسُوا فيها من قُربِ الفكرة وحُسن التوجيه . وكان أنْ طار معها ذِكرُ أبي الفتح ، فلا يكاد يُذكَرُ حتى تُذكَرَ قصيدَتُهُ النونية ، التي يَحسُنُ أن نتحدث عنها بشيء من التفصيل فيما يلي :

القصيدة النونية :

نَظَم أبو الفتح تلك القصيدة من بحر البسيط الكامل في تفاعيله ، وأودعَ فيها كثيراً مما تفرَّق من قولِهِ في الحِكمة في ديوانه ، مبسِّطاً لها ملخِّصاً إياها ، كي يَسهُلَ حفظُها وفهمُ ما فيها من مبادىء الأخلاق والفضيلة .

ولقد قدَّم لقصيدته بمقدِّمةٍ عامَّة في أربعةِ أبيات ، ذَكَر فيها بعضَ الحقائق الهامة في حياة الإنسان ، والتي تَظهَرُ له بالتأمل وعندَ التحقيقِ فيها ، وليس بالنظرةِ العابرةِ التي تَغترُّ بالظواهر، فيقول :

زيادةُ المرءِ في دُنياه نُقصانُ   وكَسْبُه غيرَ مَحْضِ الخير خُسْرانُ
وكلُّ وِجْدانِ حَظٍّ لا ثباتَ له   فإنَّ معناه في التحقيقِ فِقدانُ

ثم ينتقل إلى تأكيد هذا المعنى بأمثلةٍ حسية ، مستعمِلاً الاستفهام الإنكاري للتسليم بصحتها ، فيقول :

يا عامِراً لخرابِ الدار مجتهداً ،   باللّهِ هل لخرابِ العُمر عُمرانُ ؟
ويا حريصاً على الأموالِ يَجمعُها   أُنْسِيتَ أنَّ سُرورَ المالِ أحزانُ؟

أي إنك تستطيعُ تعميرَ ما خَرِبَ من دارك بمقدرتك ، فهل تستطيع مثلَ ذلك فيما خَرِب من العُمُر ؟ . وأنت أيها الحريصُ على المال تَجمعُه من كل وجه ، هل نَسِيتَ أنَّ السرور الذي يأتي من وراءِ ذلك ، هو في حقيقتِهِ حُزنٌ ، لما ينتابُ صاحبَه من هَمٍّ بالمحافظةِ عليه ، وخشيتِهِ الدائمةِ عليه من الضياع ، ثم من محاسبةٍ عليه في الآخرة من إنفاقه في وجهه وغيرِ ذلك .

كلُّ هذا صحيحٌ لا جدالَ فيه ، وإذا تقرَّر ذلك عندك ، فاسمَعْ مني هذه النصائحَ الخالصة :

زَعِ الفؤادَ عن الدنيا وزُخْرُفِها   فصَفْوُها كَدَرٌ والوصلُ هِجْرانُ

وأَرْعِ سَمْعَك أمثالاً أُفصِّلها كما يُفصَّلُ ياقوتٌ ومَرْجانُ

ثم يبدأ أبو الفتح بعد ذلك بإيرادِ هذه الأمثالِ أو الفضائلِ النفسانية ، التي تُسبِّبُ السعادةَ الحقيقية لا الظاهرية للإنسان ، وبدأ بالإحسانِ ، فيَذكُرُ أنَّ فيه العِزَّ كلَّ العز لفاعلِه ، لأنه يتمكن به من استعبادِ القلوب وامتلاكِها ، وهو الوسيلةُ المؤكِّدةُ للوصولِ إلى ذلك ، ثم يَذكرُ بعد ذلك العفوَ عن المسيء ، وهو أيضاً نوعٌ من الإحسانِ والتفضُّل ، ثم مَدَّ يَدَ المعونةِ لكل من يضعُ ثقتَه في شخصك ، فهي شِيمةُ الحُرِّ من الرجال :

أحسن إلى الناس تَستعبِدْ قُلوبَهُمُ فطالما استعبَدَ الإنسانَ إحسانُ
وإن أساء مُسِيءٌ فليكن لك في عُروضِ زَلَّتِه صَفحٌ وغُفرانُ
وكن على الدهر مِعواناً لذي أَمَلٍ يرجو نَدَاكَ فإنَّ الحُرَّ مِعوانُ

ثم ينتقل أبو الفتح بعدَ ذلك إلى تقوى الله والاستمساكِ بحبله المتين ، وتوجيهِ الطلب إليه وحده ، فهو القادر على إجابةِ الطلبِ والنُّصرة ، وكلُّ من عداه في عجزٍ وخِذلان ، ويُعالِجُ هذا في ثلاثة أبيات .

ويعود أبو الفتح مرةً ثانية إلى الإحسان ، ويبدو أن هذه القضية كانت تَشغلُه لما يراه من كثرةِ المحتاجين إليه ، وقصور القادرين عن عَمَلِه في عصره ، لهذا نراه يَحُضُّ على ذلك مبيِّناً شتى جوانبِ الخير والفائدةِ فيه :

من كان للخير منَّاعاً فليس له على الحقيقةِ إخوانٌ وأخدانُ
من جاد بالمالِ مالَ الناسُ قاطبةً إليه والمالُ للإنسانِ فَتَّانُ

ثم يوالي أبو الفتح سَرْدَ حِكَمِه ومواعظِه ، ذاكراً الحِكمةَ وما

يستفيده المرءُ لو عَمِل بها ، فيَتحدَّثُ عن مُسالَمةِ الناس وجَدْوَاها لسلامةِ الإنسان :

من سالَمَ الناسَ يَسْلَمْ من غوائِلهم   وعاش وهو قريرُ العينِ جَذْلانُ

وذاكراً العقلَ وما في مصاحبتِهِ من هزيمةٍ للحِرص :

من كان للعقل سُلطانٌ عليه غَدَا   وما على نفسِه للحِرصِ سُلطانُ

ثم ذاكراً ما في طبيعةِ الناسِ عموماً والإخوانِ خصوصاً ، من بَغْيٍ وعُدوانٍ وخِيانة ، ثم يُحذِّرُ من فعل الشر وعاقبتِهِ الوخيمة ، ومُصاحبةِ الأشرار ، وما في ذلك من خطورة تُعادلُ الخطورةَ التي يتعرَّض لها مَن يَضَعُ صِلاًّ لا شِفاءَ من سُمِّهِ بين ملابسه ، ويُعالِجُ ذلك في خمسةِ أبيات .

وبعدَ هذا التحذير يعود أبو الفتح إلى عَدَدٍ آخرَ من الفضائل ، آمراً بها حاثاً عليها ، ويكونُ الرِّفقُ من أهم هذه الفضائل ، فهو يأمرُ به ويُحذِّرُ من نقيضه :

ورافِقِ الرِّفقَ في كلِّ الأمور فلم   يَنْدَمْ رَفِيقٌ ولم يَذْمُمْهُ إنسانُ
ولا يَغُرَّنْكَ حَظٌّ جَرَّه خَرَق   فالخُرْقُ هَدْمٌ ورِفقُ المرءِ بُنيانُ

ثم يعودُ مرةً أخرى إلى الإحسان بعدَ أن تحدَّثَ عنه مرتين من قبل ، لكنه في هذه المرة لا يأمرُ به فحسب ، بل يأمرُ بتعجيله قبلَ فواتِ القُدرةِ عليه :

أحسنْ إذا كان إمكانٌ ومقدرةٌ   فلن يدومَ على الإحسانِ إمكانُ

ثم يُواصل الحديثَ بعدَ هذه النصائح التي تتعلق بالروابط بين الإنسان ومجتمعِهِ ، فيَذكرُ بعضَ النصائح الخاصَّةِ بالإنسان في ذاتِ نفسه . فيتكلَّمُ عن صيانةِ الوجه عن التبذُّل ، فالأحرارُ لا يَتبذَّلون ، وعن عدم التكاسُل في الخير ، وعن التحلي بالتُّقَى والعلم ، فبدونهما لا تكونُ للإنسان فائدةٌ على الحقيقة :

صُنْ حُرَّ وجهك لا تَهْتِك غِلائلَهُ   فكُلّ حُرٍّ لحُرِّ الوجهِ صَوَّانُ
دَعِ التكاسُلَ في الخيراتِ تَطلُبُها   فليس يَسعدُ بالخيراتِ كسلانُ
لاَ ظِلَّ للمرءِ يَعْرَى من تُقىً ونُهَىً   وإن أظلَّتْه أوراقٌ وأغصانُ

ثم ينتقل أبو الفتح إلى ذكر بعض الحقائق المؤسِفة ، التي تُلاحَظُ في المجتمع ، من أنَّ الناس مع ذي الجاهِ والسلطانِ يُعينونه ويُبجِّلُونه ، فإذا انقضَى سُلطانُهُ انفضُّوا عنه ونبذوه ، كذلك فإنَّ المالَ يجعَل العَيِيَّ عندَ الناس بليغاً ، وعَدَمُهُ يجعَلُ أفصحَ الفصحاءِ عَيِيّاً لا يُبِين :

والناسُ أعوانُ من والَتْهُ دَوْلَتُهُ   وهُمْ عليه إذا عادَتْه أعوانُ
سَحْبَانُ من غيرِ مالٍ باقِلٌ حَصِرٌ   وباقِلٌ في ثَراءِ المالِ سَحْبانُ

وهي لا شك مقاييسُ خاطئة ، تدعو إلى العَجَب والغرابة .

ثم ينتقل أبو الفتح إلى التحذير من بعض ما يَعلمه الإنسانُ ، مما ينطوي على الخطورةِ في العواقب فيقول :

لا تُودِعِ السِّرَّ وَشَّاءً به مَذِلاً   فما رَعَى غَنَماً في الدَّوِّ سِرْحَانُ
لا تَحسَبِ الناسَ طبعاً واحداً فلهم   غرائزٌ لستَ تُحصِيهِنَّ ألوانُ
ما كلُّ ماءٍ كصَدَّاءٍ لِوارِدِهِ   نعم ولا كُلُّ نَبْتٍ فهْوَ سَعْدانُ
لا تَخْدِشَنَّ بَمطْلٍ وَجْهَ عارِفَةٍ   فالبِرُّ يَخْدِشُه مَطْلٌ ولَيَّانُ
لا تَستشِرْ غيرَ نَدْبٍ حازِمٍ يَقِظٍ   قد استَوَى فيه إسرارٌ وإعلانُ
فللتدابيرِ فُرْسانٌ إذا رَكَضُوا   فيها أَبَرُّوا كما للحربِ فُرسانُ
فلا تكِنْ عَجِلاً في الأمرِ تَطلُبُه   فليس يُحْمَدُ قبلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ

ويتأمل أبو الفتح في ما يَحتَاجُ إليه الإنسانُ على الحقيقة في هذه الحياة ، فيقول :

كفَى من العيش ما قد سَدَّ من عَوَزٍ   ففيه لِلحُرِّ قُنْيَانٌ وغُنْيَانُ
حَسْبُ الفتى عَقْلُه خِلَّا يُعاشِرُه   إذا تحاماه إخوانٌ وأخْدَانُ

ثم يوجه تحذيراً شديداً إلى الظالمِ ، ويُخوِّفُه عاقبةَ ظُلمِه ، فيقول :

يا ظالماً فَرِحاً بـالعـزِّ سَـاعَـدَهُ إن كنتَ في سِنَةٍ فالدَّهْرُ يَقْظَانُ
ما استَمْرَأَ الظلمَ لو أنصفتَ آكِلُهُ وهل يَلَذُّ مَذاقَ المَرْءِ خُطْبَـانُ

ثم يَتحدَّثُ عن التحلِّي بالتقوى والعقل ، ثم عن فوائدِ العلم ومَساوِي الجهل . ثم يُزجي النصيحةَ بعدَ ذلكَ إلى الشباب والشيوخ ، أما الشبابُ فنصيحتُهُ لهم هي ألا ينتشوا بكأس الشباب وما تُتِيحُهُ لهم من مُتعة ، فالنشوةُ تَحجُبُ عنهم إدراكَ الحقيقة ، وهي أنَّ هذه الفترة لن تدومَ كما يُخيَّلُ إليهم ، وأنَّ المَنِيَّةَ كم اختطفَتْ من الشبابِ الأقوياء قبلَ الشيوخ الكبار الضعفاء :

يا رافِلاً في الشباب الرَّحْبِ مُنْتَشِياً من كأسِهِ هل أصابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ
لا تَغتِرِرْ بشَبَـابٍ رَائِقٍ نَضِـرٍ فكم تَقدَّمَ قَبْلَ الشَّيبِ شُبَّـانُ

أما نصيحتُه إلى الشيوخ فهي أن يَتنبَّهوا ويكونوا نُصَحاءَ لأنفسهم ، ولو فَعلوا لامتنعوا عن كثير من الوجوهِ التي لا تَلِيقُ بأمثالهم ، والتي لو وَجَدْنا عُذْراً للشباب في ارتكابها ، لَمَا وجدنا للشيوخ مثلَه مهما حاولنا :

ويا أخا الشَّيْبِ لو ناصحتَ نفسَك لم يكن لِمثلِكَ في الإسراف إمعانُ
هَبِ الشَّبيبةَ تُبْدِي عُذْرَ صاحِبِها ما عُذْرُ أشْيَبَ يستَهويهِ شيطانُ؟!

ويَختمُ أبو الفتح قصيدتَه بالتحدثِ عن الله ، وواسع عفوِه وكرِيم مغفرتِهِ لكل الذنوب ، ما دام المرءُ عامِرَ القلب بالإيمانِ والإخلاص :

كلُّ الذنـوب فإنَّ الله يَغفِـرُها إنْ شَيَّع المرءَ إخلاصٌ وإيمانُ
وكـلُّ كسـرٍ فـإنَّ الله يَجْبُـرُهُ وما لكسرِ قنـاةِ الدين جُبـرانُ

ثم يَحُثُّ على حفظِ قصيدتِه والحرصِ عليها ، فهي أمثالٌ سائرةٌ مهذَّبةٌ بالتجربة، فيها تِبيانٌ لكثير من وجوه الخير في الدين والدنيا، ولا يَضُرُّها أنْ لم يَقُلْها شاعرٌ فَحْلٌ كحسَّان شاعرِ الرسول صلى الله عليه وسلم، فالعبرةُ بالقولِ نفسِه وما فيه من حكمةٍ رائقة أو معنى بديع، ولا عبرةَ بعد ذلك بقائلِه :

خُـذْها سـوائرَ أمثـالٍ مهـذَّبـةً   فيها لمن يَبتغي التِّبيانَ تِبيـانُ
ما ضَرَّ حَسَّانَها ـ والطبعُ قائِلُها ـ   أنْ لم يَقُلْها قريعُ الشِّعرِ حَسَّانُ

ومن دراسة هذه القصيدة تبدو للمرء بعض الملاحظاتِ ، أهمُّها : أنَّ أبا الفتح عاد إلى ارتداءِ ثوب المُعلِّم بطريقةٍ قوية ومباشرة ، فقد فَرَغ لهذه القصيدة بكل جهده وبلاغته وأطالَ فيها ، وكأنه في حَلْقةِ دَرْسٍ بين طلبةٍ يوجههم ويثقفهم ، كما كان يفعلُ في الماضي إذْ كان في شبابِهِ معلِّماً .

لكنه في هذه المرة عاد مُعلِّماً مُحمَّلاً بالكثير من التجارب ، التي اكتسبها من حياته السياسية والاجتماعية ، واحتكاكِهِ بالكثيرِ من النماذجِ البشرية ، مما أكسبه نظرةً واعيةً وبصراً بمختلِفِ شُئونِ الحياة .

كذلك فلم يكن تلاميذُه هذه المرةَ مجموعةً خاصةً تَتلقَّى دَرْساً في فرع خاصّ من فروع المعرفة ، بل اتَّسعَتْ حتى شَمِلَتْ كلَّ فَرْدٍ من أفراد الإنسانية له عقل ووعي ، يُريدُ بهما معرفة الطريقِ السليمةِ التي تُوصِلُ إلى الخير والسعادة .

ولقد حَشَد أبو الفتح لرَسْم هذه الطريقِ مجموعةً كبيرةً من الفضائل التي يَجِبُ أن يتحلَّى بها الإنسان ، ويتصفُ بها لبلوغ غايتِهِ في السعادة .

فتحدَّث عن الصفاتِ الخُلُقِيَّة ومنها : الإحسانُ ، وتعجيلُه ، والعفوُ عن المسيء ، والرفقُ في كل الأمور ، وبَشَاشةُ الوجه ، والتودُّدُ إلى الناس ، واللُّطفُ .

وعن الصفاتِ الدينية ومنها : اتِّباعُ طريق الله ، والاستمساكُ بحبله ، والقناعةُ ، والزُّهـدُ في متاع الدنيا ، والتمسُّكُ بأوامر الدين ، والابتعادُ عن الظلم .

وعن الصفاتِ العِلْمِيَّة ومنها : التمسُّكُ بالعقلِ ، وعَدَمُ اتِّباع الهوى ، والحـرصُ على التعلمِ ، وفَصاحةُ اللسان ، إلى غير ذلك .

ولقد استعمَل أبو الفتح لصياغةِ هذه المعاني أُسلوباً سهلاً مبسَّطاً ، ليس فيه شيء من الألفاظ الغريبة أو المعقَّدة ، واختار لقصيدتِهِ بَحْرَ البَسِيط ، وهو بحر زاخِرٌ جيَاشٌ يَتَّسعُ لِلفكرة ، وَينهَضُ بما يُحمِّلُه الشاعرُ من عناصرِ القُوَّةِ والتأثير . كما وشَّحَ معانيَه بصُوَرٍ كثيرةٍ من البيان والبديع ، ومن أمثلةِ تشبيهاتِهِ واستعاراتِهِ الموفَّقةِ قولُهُ :

من يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصِدْ في عَوَاقِبِهِ ... نَـدامةً ولِحَصْـدِ الـزَّرْعِ إبَّـانُ
من استنام إلى الأشرار نام وفي ... قَمِيصِـه منهم صِـلٌّ وثُعْبَـانُ

وقولُهُ :

أحسِنْ إذا كان إمكانٌ ومَقدِرَةٌ ... فلن يَدُومَ على الإحسانِ إمكانُ
والرَّوضُ يَزْدَانُ بالأنوار فاغِمَةً ... والحُرُّ بالعدلِ والإحسانِ يَزْدَانُ

أما استعمالُه للبديع فقد كَثُرَ ، حتى لا يكادُ يخلو بيتٌ من بعضِ أنواعِهِ ؛ ومن أمثلة ذلك قولُهُ :

زِيادةُ المَرْءِ في دُنيـاهُ نُقصانُ ... ورِبْحُهُ غيرَ مَحْضِ الخيرِ خُسْرانُ

فبَيْنَ زيادةُ ونُقصانُ ورِبحُ وخُسرانُ طِبَاق .

وقولُهُ :

يا عامِراً لخرابِ الدَّهرِ مجتهِداً ، باللهِ هَلْ لخَرَابِ العُمْرِ عُمْرانُ ؟!

فيه أيضاً طِباقٌ بين العِمارةِ والخَرَابِ ، وفيه تجنيسٌ تامٌّ في العُمر والعُمران ، وفيه إدراجٌ أيضاً لأنه أدرجَ الشكايةَ عن الزمان في أثناء كلامِه ، حيث جَعَل مُرورَ الدهر مُخرِّباً لما عَمَّره الناس ، وفيه تجاهُلُ العارف حيث تجاهَلَ وجودَ العامِرِ لخرابِ العُمْر .

وقولُه :

وأَرْعِ سَمْعَك أمثالاً أُفَصِّلُها كما يُفَصَّلُ ياقوتٌ ومَرْجانُ

فيه مراعاةُ النظيرِ بين المِصراعَين .

وقولُهُ :

سَحْبانُ من غيرِ مالٍ : باقِلٌ حَصِرٌ وباقِلٌ في ثَراءِ المالِ سَحْبَانُ

فيه التصديرُ أو رَدُّ الصَّدْرِ على العَجُز .

وهكذا إلى آخر هذه الصُّوَر البديعية ، التي لا يكادُ يخلو منها بيت . على أنَّ قصيدةَ أبي الفتح وإن اتَّسَمَتْ بوَحْدةِ الموضوع ، إلاّ أنها تفتقر إلى التلاحُم بين أفكارِها ، حيث كان أبو الفتح يُعالجُ فِكرةً كالإحسان مثلاً ، ثم نراه يَترِكُها قبلَ أن يستكمل القولَ فيها ، وَيتحدَّثُ عن فكرةٍ أخرى كالعفو ، ثم يَرجعُ إلى الإحسان وهكذا ، كما يبدو للقارىء لأوَّلِ وَهْلَة .

ولهذا فإنه يمكن القولُ بأن القصيدة تُشبِهُ أجزاءً مرصوصةً بعضُها بجانبِ بعض ، بحيث يُمكِنُ التصرُّفُ في أبياتها بالتقديم والتأخير ، دون أن تتأثر المعاني بشيءٍ . وعلى ما يبدو : فلقد كان أبو الفتح يُرِيدُ للبيتِ

أن يكون وَحْدَةً مستقلَّةً بمعناها ، ولهذا كان يَذكُرُ النصيحةَ وفائدتها في البيتِ نفسِهِ كقوله :

أحسِنْ إلى الناس تَستعبدْ قُلوبَهُمُ   فطالما استَعبَدَ الإنسانَ إحسانُ
وكُنْ على الدهرِ مِعْواناً لذي أمَلٍ   يَرْجُو نَـدَاك فإنَّ الحُـرَّ مِعوانُ
واشْدُدْ يديك بحَبْلِ اللهِ مُعتَصِماً   فإنه الـرُّكْنُ إن خانَتْـك أركانُ

وقليلاً ما عالج الفكرةَ في بيتين أو ثلاثة ، ولعلَّه كان يقصِدُ أن يكون كلُّ بيتٍ مَثلاً سائراً ، يُحفَظُ بسهولةٍ ويُتمثَّل به في مناسبتِه .

لقد انتَشَرت قصيدةُ أبي الفتح وذاعت في مختلِف أنحاء العالم الإسلامي ، ويَرجعُ ذلك في رأينا إلى أن المعلِّمين والمهتمِّين بتربيةِ النَّشْء ، وجدوا فيها الدعوةَ إلى الفضائل الحميدة بلا إسرافٍ في الحُجَجِ العقليةِ أو الفلسفية ، ولا تَطرُّفٍ في الدعوة إلى عقيدةٍ مُعَيَّنةٍ أو مذهَبٍ ومَسْلكٍ خاصٍّ في الحياة ، فهي ليست كمُزْدَوِجَةِ أبي العَتَاهِيَةِ في الأمثال ، وهي التي دَعَتْ إلى الزُّهدِ وحَثَّتْ عليه ، وهي أيضاً ليست كقصيدةِ صالح بن عبد القُدُّوس في الحكمةِ ، والتي مَطْلَعُها :

المَـرءُ يَجْمَـعُ والـزمـانُ يُفـرِّقُ   وَيَظَلُّ يَرْقَـعُ والخُطوبُ تُمـزِّقُ

والتي امتلأت بالنظراتِ الفلسفية ، والتأمُّلِ العميقِ لمختلفِ نواحي الكونِ والحياة .

وإلى جانب ذلك فقد كان لاحتفالِ صاحبها بها وتأنُّقِهِ في نَسْجِها ، وتخيُّرِهِ لألفاظها وأساليبها ، وحِرصِه على وَشْيِها ، بمختلِفِ صُوَرِ البيانِ والبديع : أَنْ وَجَد المعلِّمون فيها من هذه الناحيةِ أيضاً ، ما يُمكن أن يُفيدَ تلامذتَهم في دراستها .

ولهذا فإننا نَرى صُوَراً كثيرةً من العناية بها ، فقد شَرَحها عَدَدٌ كبيرٌ

من الشُّرَّاح ، منهم : أبو منصور الثعالبي في كتابه « نَثْرُ النَّظْم وحَلُّ العَقْد » ، وهو شَرْحٌ مبسَّطٌ صغير ، يُعنَى بإيراد البيتِ وذكرِ معناه في سطرٍ واحد .

وشَرَحها محمودُ بن عثمان النجاتي ، المتوفَّى سنة ٧١٣ هـ ، وعبدُ الله بن محمد بن أحمد النقره كار ، المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ، وشَرْحُهُ لها شرحٌ واسع ، عُنِيَ فيه بذكر المعنى ، وإعرابِ الأبيات ، وإبرازِ بعض النُّكَتِ البلاغية .

وشَرَحها عبدُ الرحمن العُمَري الميلاني ، المتوفى سنة ٧٠٨هـ ، وشَرَح بعضَ أبياتها عبدُ القادر بـن العَيْدَرُوس ، المتوفى سنة ١٠٣٨هـ .

كما طُبِعَتْ مع شرح بعض ألفاظها في كثير من الكتب ، فهي تَرِدُ في كتاب « حياة الحَيَوان الكبرى » للدَّمِيري ، و« طبقات الشافعية الكبرى »لابن السُّبْكي .

كما تَرِدُ في كثير من مجاميع الأدب والكتب التعليمية ، ككتاب « التعليقات الشريفيَّة لجملة من القصائد الحِكَمِيَّة » لمحمود الشريف ، المطبوع في القاهرة سنة ١٣١٠ هـ ، وفي « بلوغ الأرَب » للسُّجَاعي ، المطبوع سنة ١٣٢٤ هـ ، وفي « مَجاني الأدب » للويس شَيْخُو اليسوعي ، الجزء الرابع صفحة ٩٥ ، وفي « تنزيه الألباب في حدائق الآداب » المطبوع في المَوْصِل سنة ١٨٦٢ م ، وفي شرح « الهِدَاية للمستفيدين والدِّراية للمستفيضين » ، المطبوع في الإسكندرية . كما تُوجَدُ نُسَخٌ مخطوطةٌ لها في معظم مكتباتِ العالم (١) .

ومن الجدير بالذكر أنَّ الأمير شكيب أرسلان في « الحُلَل

---

(١) انظر « تاريخ الأدب العربي » لكارل بروكلمان ٢ : ١١٨ .

السُّنْدُسِيَّة »(١)، يَذكُرُ أنَّ هذه القصيدة من نَظْم أبي البقاءِ صالح بن شريف الرُّندِيّ الأندلسي ، وهذا خطأ منه أو سهو (٢) ، فالواقعُ أنها قصيدةٌ مغايرةٌ تماماً لهذه ، وإن كانت على نَفْسِ الوَزْنِ والرَّوِيّ ، فقصيدةُ أبي الفتح في الحِكمة ، ومَطلَعُها كما نعرف :

زيادةُ المرءِ في دُنياه نُقصانُ ... ورِبْحُهُ غيرَ مَحْضِ الخيرِ خُسْرانُ

وقصيدةُ أبي البقاء الرُّنْدِي في رِثاءِ دُوَل الأندلس ، التي وقعَتْ في أيدي النصارى ، ومَطْلَعُها (٣) :

لِكلِّ شيءٍ إذا ما تَمَّ نُقْصانُ ... فلا يُغَرَّ بِطيبِ العيشِ إنسانُ

هي الأمورُ كما شاهَدْتَها دُوَلٌ ... من سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتْهُ أزمانُ

وهذِهِ الدارُ لا تُبقِي على أحَدٍ ... ولا يَدُومُ على حالٍ لَهَا شَانُ

وواضحٌ أنَّ هذه غيرُ تلك ، وإن كان الرُّنْدِيُّ قد تأثَّر ولا شَكَّ بقصيدةِ أبي الفتح ونَسَجَ على مِنوالها ، فهو قد اختار هذه القصيدة الذائعةَ في مختلِف بقاع العالم الإسلامي ، بصورتها من الوزن والقافية ، وحَمَّلَها صَيْحَاتِهِ إلى العالم الإسلامي ، لكي يُدْرِكُوا إخوانَهم الذين يُنَكِّلُ

---

(١) نقلاً عن صاحب « الأعلام » ٥ : ١٤٤ .

(٢) هكذا وقع من الدكتور الخولي في كتابه المنقول عنه : « أبو الفتح البُستي حياتُه وشعرهُ » ص ١٤٨ - ١٥٠ ، وهو خطأ بُنِيَ على خطأ ، وذلك أنه بَنَى كلامه هذا على كلام الزركلي في « الأعلام » ٥ : ١٤٤ .

وقد نَبَّهتُ في ص ١٠ على وَهَم الأستاذ الزركلي رحمه الله تعالى في هذا وعلى وَهَم من تابَعَه عليه ، ومن العَجَب الشديد أن الدكتور الخولي - وهو في صَدَدِ الدراسةِ المتعمِّقةِ المتحقِّقةِ - تابَعَه أيضاً ! دون أن يُراجِع « الحُلَل السندسية » للأمير شكيب أرسلان ، لينكشف له خطأ الاستاذ الزركليِّ ووَهَمُه فيما قاله ! وإنما نقلتُ كلام الدكتور الخولي هنا - على ما فيه من وَهَم وخطأ قد نبَّهتُ عليه في ص ١٠ - ، لأن الدكتور الخولي تعرَّض لاقتباس الشاعر أبي البقاء الرُّنْدي الأندلسي ، من الشاعر أبي الفتح البُسْتي المشرقي ، وهو أمرٌ صحيح وحُكمٌ سليم .

(٣) انظر القصيدة بتمامها في « نفح الطِّيب » للمَقَّري ٦ : ٢٣٢ - ٢٣٤ .

بهم النصارى ، ويستبيحون حُرُماتِهم كلما سقطت في أيديهم مدينةٌ من مُدُنِهم .

وتأثيرُ قصيدة أبي الفتح واضحٌ كلَّ الوضوح في تلك القصيدةِ الأندلسية ، فمَطْلَعُها مأخوذٌ من مَطْلَع أبي الفتح ، وفيه بعضُ ألفاظِهِ . وقولُ أبي البقاء :

هِيَ الأمورُ كما شاهَدْتَها دُوَلٌ   من سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتْهُ أزمانُ

مأخوذٌ بنَصِّهِ من بيتِ أبي الفتح :

لا تَحْسَبَنَّ سُروراً دائِماً أبداً   من سَرَّه زَمَنٌ ساءَتْهُ أزمانُ

وقولُهُ :

يا غافِلاً ولَهُ في الدهرِ مَوْعِظةٌ   إن كنتَ في سِنَةٍ فالدَّهْرُ يَقْظانُ

مأخوذٌ بِنَصِّهِ من بيتِ أبي الفتح :

يا نائِماً فَرِحاً بالعِزِّ ساعَدَهُ   إن كنتَ في سِنَةٍ فالدَّهْرُ يَقْظَانُ

وقولُهُ :

يا رُبَّ أُمٍّ وطِفْلٍ حِيْلَ بَيْنَهُمَا   كما تَفَرَّقُ أرواحٌ وأبْدَانُ
وطِفلةٍ مِثلِ حُسْنِ الشمسِ إذْ طَلَعَتْ   كأنما هي يَاقُوتٌ ومَرْجَانُ

البيتُ الأخيرُ فيه ألفاظُ أبي الفتح في قولِهِ :

وأَرْعِ سَمْعَك أمثالاً أُفَصِّلُها   كما يُفَصَّل ياقوتٌ ومَرْجَانُ

وهكذا استَغَلَّ الرُّنْدِيُّ إطارَ هذه القصيدة ، وكثيراً من أبياتِها المشهورةِ ، لكي يَصِلَ صَوْتُه إلى أرجاءِ العالم الإسلامي ، من خِلال ألفاظٍ رُدِّدَتْ وحُفِظَتْ في جميعِ بقاعِهِ ومختلِفِ مستوياتِه » . انتهى

قصيدة : عنوان الحِكَم
للشاعر الأديب أبي الفتح البُسْتي

١ زيــادةُ المَــرْءِ في دُنيــاه نُقـصــانُ ... ورِبْحُـه غيرَ مَحْضِ الخيـر خُسْـرانُ
٢ وكـــلُّ وِجــدانِ حَظٍّ لا ثَـبــاتَ لــه ... فـــإنَّ معنــاه في التـحقـيق فِـقْــدانُ
٣ يــا عامـراً لخرابِ الـدَّارِ مجتهـداً ، ... بــالله هــل لخــرابِ العُمْـرِ عُمـرانُ ؟
٤ ويــا حريصــاً عــلى الأمــوالِ تجْمَعُها ... أنْسِيتَ أنَّ سُــرورَ المــالِ أحــزانُ ؟
٥ زَعِ الفُــؤادَ عن الــدُّنيــا وزِينتِهــا ... فصَفْـوُهـا كَـدَرٌ والـوَصْــلُ هِجْـرانُ
٦ وأَرْعِ سَـمْعَــك أمثــالاً أُفَصِّلُهــا ... كمــا يُفَصَّـلُ يــاقُــوتٌ ومَــرْجــانُ

* * *

---

١ ـ أي ازديادُ الإنسان من الدنيا وتوسُّعُه فيها ـ إن لم يكن في الخير الخالص ـ يكونُ خسارةً له ونقصاً من حَظِّه في آخرته .

٢ ـ أي كلُّ حظَ ونصيبٍ يجده المرءُ في دار الدنيا ، ولا يَصحبُه منه الأجرُ والثوابُ إلى دار الآخرة ، فهو على التحقيق فِقدان .

٣ ـ أي يا عامراً للدارِ الخراب وهي الدنيا ، باذِلاً فيها جُهدَك وعُمرَك ، هل لخرابِ عُمرِك العزيزِ وضياعِه فيها عُمرانٌ ؟

٤ ـ أي أأُنسِيتَ أنَّ سرورَ المالِ هُموم وأحزان : في جَمْعِه ، وتصريفِه ، وواجباتِه ، ومسؤولياتِه ، وفَقْدِه . . . ؟

٥ ـ زَعِ الفؤادَ ، بالزاي ، فِعْلُ أمرٍ من وَزَعَه عن الأمر كَفَّه عنه ، أي كُفَّ القلبَ عن حُبِّ الدنيا وزخارِفِها ، لأنها غرَّارة غدَّارة ، فما تراه من صَفْوِها فهو كدَرٌ ، وما تراه من قُرْبِها فهو هِجران .

٦ ـ أَرْعِ سَمْعَكَ : أَصْغِه إليَّ لتستمعَ مقالتي بانتباهٍ وتدبُّر .

٧ أحْسِنْ إلى النـاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلوبَهُمُ فـطالمـا استَعبَـدَ الإنسـانَ إحسـانُ
٨ يـا خادِمَ الجسم كم تَشْقَى بخِدمتِـه أتطلُبُ الرِّبْحَ فيما فيـه خُسْرانُ ؟
٩ أقبِلْ على النفسِ واستَكْمِل فضائِلَها فـأنتَ بـالنفس لا بـالجسم إنسـانُ
١٠ وإن أسـاء مُسِيءٌ فـليكُـنْ لـك في عُـرُوضِ زَلَّتِـه صَفْـحٌ وغُـفـرانُ
١١ وكُنْ على الـدهر مِعْـواناً لـذى أَمَلٍ يَـرجُـو نَـدَاك فـإنَّ الحُـرَّ مِعْـوانُ
١٢ وآشْـدُدْ يديـك بحَبْـلِ اللّهِ مُعتصِمـاً فـإنـه الـرُّكنُ إن خـانَتْـك أركـانُ

* * *

١٣ من يَتَّقِ اللّهَ يُحْمَـدْ فـي عـواقبِـهِ ويَكْفِـهِ شَـرَّ من عَـزُّوا ومن هَـانُـوا
١٤ من استعـانَ بغيـر اللّهِ فـي طَلَبٍ فـإنَّ نـاصِـرَه عَـجْـزٌ وخِـذْلانُ
١٥ من كـان للخير منَّـاعـاً فليس لـه عـلى الحقيقـةِ إخـوانٌ وأخْـدَانُ
١٦ من جـادَ بالمـالِ مالَ النَّـاسُ قاطِبـةً إليـه والمـالُ لـلإنسـانِ فـتَّـانُ
١٧ من سـالَمَ الناسَ يَسلَمْ من غـوائِلِهم وعـاش وهْـوَ قَـرِيـرُ العينِ جَـذْلانُ

---

٧ - تَستَعْبِدْ قلوبَهُمُ : تَسْتَمِلْها وتَمَلِكْها بالإحسان إليهم ، فكثيراً مَّا مَلَكَ الإحسانُ قَلْبَ الإنسان . وقديماً قالوا : جُبِلَتْ القلوبُ على حُبِّ من أحسَنَ إليها ، وبُغضِ من أساء إليها . وليس هذا القولُ بحديثٍ نبوي .

٨ - أي أيها المُجِدُّ الساعي في خدمةِ جسدِهِ وتحصيلِ مَلذَّاتِه وشهواتِه ، أنت بهذا عبدُ الجسد ! إنَّ ما تَجهَدُ فيه هو من الخسارة وليس من الربح في شيء ، فعَجَباً لك تَنْشُدُ الربحَ فيما فيه خسران ؟!

١٠ - عُرُوض زَلَّتِهِ . يعني : زَلَّته العارضة .

١١ - مِعْواناً : كثيرَ العَوْن والمساعدة . يرجو نَدَاك : أي كرَمَك وعطاءَك .

١٢ - فإنه الرُّكن ، أي المَلاَذُ والمرجع .

١٤ - فإنَّ ناصِرَهُ عَجزٌ وخِذْلانٌ ، أي إنَّ مآلَه إلى العجزِ والخِذلان .

١٥ - أخدان : أصدقاء ، جمعُ خِدْن وهو الصديق .

١٧ - من غوائِلِهم: شُرُورِهم ومَساءاتِهم . قريرُ العين : مسرور . جَذْلان : فرْحان .

١٨ من كـان للعقلِ سُلطانٌ عليـه غَدَا   ومـا على نفسِهِ للحِـرْصِ سُلْطانُ

* * *

١٩ من مدَّ طَرْفاً لِفَرْطِ الجهلِ نحوَ هَوىً   أَغضَى على الحقِّ يوماً وهْوَ خَزْيـانُ
٢٠ من عـاشَـرَ النـاسَ لاقَى منهمُ نَصَبـاً   لأنَّ سُـوْسَـهُـمُ بَـغْـيٌ وعُـدْوانُ
٢١ ومـن يُفَتِّشْ عن الإخـوان يَـقْلِهِـمُ   فجُلُّ إخوانِ هـذا العَصْرِ خَـوَّانُ
٢٢ من استشارَ صُرُوفَ الدَّهرِ قامَ له   على حقيقةِ طَبْعِ الدهرِ بُرْهانُ
٢٣ من يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ في عـواقِبِه   نَـدامـةً، ولِحَصْـدِ الـزَّرْعِ إبَّـانُ
٢٤ من استَنـام إلى الأشـرارِ نـامَ وفي   قَـمِيصِـهِ منـهُمُ صِـلٌّ وثُـعْبَـانُ

* * *

٢٥ كُنْ رَيِّقَ البِشْـرِ إنَّ الحُـرَّ هِمَّتُـه   صَحِيفـةٌ وعليهـا البِشْـرُ عُنْـوانُ

---

١٨ ـ يعني من عَمِلَ بالعقل وفكَّرَ في أمور الدنيا ، غدا زاهداً في حُطَامِها ، وليس للحِرصِ والطمعِ عليه سَيْطَرَة .

١٩ ـ الطَّرْفُ هنا: العين . خَزْيان : ذليل . والمعنى: من أُطلَق بصرَه نحوَ الهَوَى والشهواتِ المحرَّمة ، تَثاقَلَ عن نصرِ الحق وباءَ بالذِّلَّةِ والخِزي .

٢٠ ـ النَّصَب هنا يُرادُ به المتاعِبُ والشرورُ والعداوات . والسُّوْس : الطبيعة .

٢١ ـ يَقْلِهِم: يُبغِضْهم ويكرههم ، من قَلاه يَقْلِيه : أَبغضَه وكَرِهَه وهجره.

٢٢ ـ استشار: استكشف . صُرُوفُ الدهر : حوادثُه ونوائبُه وتقلُّباته .

٢٣ ـ إبَّانُ: وقتٌ محدَّد .

٢٤ ـ استنام إلى الأشرار : سَكَنَ إليهم وصاحَبَهم . الصِّلُّ : الحيَّةُ التي لا تَنفَعُ فيها الرُّقْيَةُ والعِلاج ، لشدةِ سُمِّها القاتل . الثعبان نوعٌ من الحيَّات الطِّوال القاتلة . أي من صاحَبَ الأشرارَ لحِقَه منهم الأذى والهلاكُ من حيث لا يدري .

٢٥ ـ رَيِّقَ البِشْر: جميلَ البِشْر دائمَه . والبِشرُ طلاقةُ الوجه وبشاشَتُه . والصحيفة يعني بها : الوجه . والمعنى : أنَّ هَمَّ الحُرِّ أن يكون طَلْقَ الوجه باسمَ المُحيَّا ، ليُحبَّه الناسُ ويألفوه وينتفعوا به وينتفع بهم .

٢٦ ورافِقِ الرِّفْقَ في كلِّ الأُمورِ فلم ... يَندَمْ رفيقٌ ولم يَذْمُمْهُ إنسانُ
٢٧ ولا يَغُرَّنْكَ حَظٌّ جَرَّهُ خَرَقٌ ... فالخُرْقُ هَدْمٌ ورِفْقُ المرءِ بُنْيانُ
٢٨ أَحْسِنْ إذا كان إمكانٌ ومَقْدِرَةٌ ... فلن يَدُومَ على الإحسانِ إمكانُ
٢٩ فالرَّوْضُ يَزْدَانُ بالأنوارِ فاغِمةً ... والحُرُّ بالعَدْلِ والإحسانِ يَزْدَانُ
٣٠ صُنْ حُرَّ وَجْهِك لا تَهْتِكْ غِلالَتَهُ ... فكلُّ حُرٍّ لحُرِّ الوَجْهِ صَوَّانُ
٣١ فإنْ لَقِيتَ عَدُوّاً فالْقَهُ أبداً ... والوَجْهُ بالبِشْرِ والإشراقِ غَضَّانُ

* * *

٣٢ دَعِ التكاسُلَ في الخيراتِ تَطْلُبُها ... فليس يَسعَدُ بالخيراتِ كسلانُ
٣٣ لا ظِلَّ للمَرْءِ يَعْرَى من تُقىً ونُهىً ... وإنْ أظلَّتْه أوراقٌ وأفنانُ

---

٢٧ ـ الخَرَقُ بفتح الخاء والراء ، والخُرْقُ بضم الخاء وسكون الراء ، كلاهما بمعنى العُنْفِ والغِلْظَة ، ويأتيان بمعنى الحُمق والبلاهة . والمعنى : لا تَغْتَرّ بطيش الأحمق إن صاحَبه فوزٌ في أمرٍ من الأمور ، فالرِّفقُ بنّاء ، والحُمْقُ هدّام . وفي الحديث الشريف : « من يُحرَم الرِّفْقَ يُحرَمِ الخيرَ كلَّه » .

٢٨ ـ أي لا يتمكن الإنسانُ من الإحسان في كل وقت ، فإذا تمكَّنتَ فأحسِنْ ، فإنها فُرصةٌ سانحةٌ ربما لا تعود .

٢٩ ـ يزدان: يتزيَّن . الأنوار جمع نَوْر بفتح النون وهو الزَّهْر . فاغِمة : متفتحة . أي كما يتزينُ الروض بالأزهار المتفتحة الجميلة ، كذلك يتزين الحُرُّ بالعدل والإحسان .

٣٠ ـ حُرُّ الوجه : محاسِنُه وكرامَتُه . والغِلالَةُ بكسر الغين : ثوبٌ رقيق كالقميص يلبَسُ على الجسد تحت الثيابِ الغليظة . والمراد هنا : صُنْ حياءَك وماءَ وجهِك ، ولا تُرِقْهُ لأجل أمرٍ دُنيويّ .

٣١ ـ غَضّانُ : مُشْرِقٌ طَلْق . يرشد الشاعرُ المخاطبَ في شأن لقاء العَدُوّ ، فيقول له : إذا لقِيتَ عَدُوَّك فالْقَهْ بوجهٍ باسِمٍ متهلِّل ، مترفعاً عن مقابلته بعداوته ، إذْ لقاؤك لِعَدُوِّك بالبِشْر يزيدُ في رِفعَتِك عليه ، ويُفوِّتُ عليه التشفِّيَ منك بإغضابه لك ..

٣٣ ـ الظِّلُّ هنا : العِزُّ والمَنَعة . يَعرَى من تُقىً ونُهىً : يَفقِدُ التقوى والعقل . أفنان : غُصُون . والمراد بها هنا : النِّعَمُ والرَّفاهِيَة . والمعنى : لا عِزَّ ولا مَنَعَةَ لامرئٍ . =

٣٤ والنـاسُ أعـوانُ من والتْـهُ دَولَتُـهُ ... وهُـمْ عـليـهِ إذا عـادَتْـهُ أعـوانُ
٣٥ (سَحْبانُ) من غيرِ مالٍ (باقِلٌ) حَصِرٌ ... و(بـاقِلٌ) في ثَـراءِ المـالِ (سَحْبـانُ)
٣٦ لا تُـودِعِ السِّرَّ وشَّـاءً يَبُـوحُ بـهِ ... فمـا رَعَى غَنَماً في الـدَّوِّ سِرْحـانُ
٣٧ لا تحسَبِ النـاسَ طَبْعاً واحِـداً فلَهُمْ ... غَـرائـزٌ لستَ تُحْصِيهِنَّ ألـوانُ
٣٨ مـا كـلُّ مـاءٍ كـصَـدَّاءٍ لِـوارِدِهِ ... نَعَمْ، ولا كـلُّ نَبْتٍ فهْـوَ سَعْـدانُ

= يَنقُصُه العقلُ والتقوى ، وإن غَمَرتْهُ نِعَمُ الحياةِ ورفاهِيَتُها .

٣٤ ـ والَتْهُ دَوْلَتُه أي أقبَلَتْ عليه الدنيا وابتَسمَتْ له الأيام . عادَتْهُ : أدبَرَتْ عنه الدنيا واستَقْبَلَتْه الحياةُ بوجهٍ كريه .

٣٥ ـ سَحْبان : رجل من بني وائل ، كان من أفصح فصحاء العرب وبلغائها ، وبه يُضرَبُ المثل في الفصاحة والبيان ، فيقال : أفصَحُ من سَحْبَان. وحَصِرٌ: عَيِيٌّ .
وباقِلٌ : رجلٌ من بني إياد ، كان مشهوراً بالعِيّ والفهاهة ، حتى يُضرَب به المثلُ في العجز عن الإبانة عما في النفس ، فيقال : أعيى من باقِل ! ومن عِيِّه أنه اشترَى ظَبْياً بأحَدَ عشر درهماً ، وأمسَك به ، فمرَّ بقوم فقالوا له : بكم اشتريتَ الظبيَ ؟ فمدَّ كفَّيه وأخرَج لسانَه ، مُشيراً إلى أنه اشتراه بأحد عشر درهماً ، فشَرَد الظبيُ منه وهَرَب ! فضُرِبَ به المَثَلُ لعِيِّه وغباوتِه، كما في « مجمع الأمثال » للميداني في باب ما جاء على أفعَل من باب ما أوَّلُه عين .
والمعنى : سَحْبانُ البليغُ إذا عَرِيَ من المال صار في نظر الناس عَيِيّاً عِيَّ باقِل ، وباقِلُ العَيِيُّ إذا كان ثَرِيّاً غَنِيّاً صار في نظرهم فصيحاً بليغاً بلاغةَ سَحْبان ، فالمالُ عند الناس يَقلِبُ الحقائقَ والموازين ! ويُؤثِّرُ في اعتبارِ الرجال وإهمالِهم .

٣٦ ـ الدَّوُّ : المفازة والصحراء . والسِّرحان بكسر السين وسكون الراء : الذئب . أي أي لا تُفضِ بسِرِّك إلى امرىءٍ مِذياعٍ يُفشِي السِّرَّ ويُذيعُه ، إنك إن فَعلتَ ذلك تكن مثلَ من يُسْلِمُ الغَنَم للذئب ليأكلها ! إذْ قد استَحفَظَ من لا يَحفظ !

٣٧ ـ يعني أن الناس تختلفُ طبائعُهم وسجاياهم ، فلا تَحْسَبْهم كلَّهم على طبعٍ واحد ، فينبغي أن تُراعِيَ طِباعَهم في معاشرتِهم ومعاملتِهم .

٣٨ ـ صَدَّاء : اسمُ عين ماء لم يكن عند العرب أعذَبُ من مائها . ومن أمثالِهم : ماءٌ ولا كصَدَّاء . يُضرَبُ مثلاً للرجلين لهما فضلٌ إلا أنَّ أحدهما أفضل . =

٣٩ لا تَخْدِشَنَّ بمَطْلٍ وَجْهَ عارِفَةٍ ... فالبِرُّ يَخْدِشُه مَطْلٌ ولَيَّانُ

* * *

٤٠ لا تَسْتَشِرْ غيرَ نَدْبٍ حازمٍ يقِظٍ ... قد استَوَى فيه إسرارٌ وإعلانُ

٤١ فللتدابيرِ فُرْسَانٌ إذا رَكَضُوا ... فيها أبرُّوا، كما للحَرْبِ فُرْسانُ

٤٢ وللأُمور مَواقيتٌ مُقَدَّرةٌ ... وَكلُّ أمرٍ له حَدٌّ ومِيزانُ

٤٣ فلا تَكُنْ عَجِلاً بالأمر تَطْلُبُهُ ... فليس يُحمَدُ قبلَ النُّضج بُحْرَانُ

* * *

= والسَّعْدانُ : اسمُ عُشب بَرِّيّ ، يُعَدُّ من أفضلِ مراعي الإبل ، لا تَحْسُنُ الإبلُ على نَبْتٍ حُسْنَها عليه ، إذا رَعَتْه غَزُرَ لَبَنُها وزاد دسَمُهُ وطِيبُه . ومن أمثالهم :مَرْعىً ولا كالسَّعدان . يُضرب مثلاً للشيء يُفضَّلُ على أقرانِه وأشكالِه . أي هذا مَرعىً جيِّدٌ ولكن ليس في الجَودَة مِثلَ السَّعْدان .

والمعنى : ما كلُّ الناس في الجودةِ والأصالةِ وحُسنِ الطبع سواء ، ففيهم الجيدُ والأجودُ والدُّون فعامِلْهم مُلاحِظاً أصنافَهم وأحوالَهم .

٣٩ ـ الخَدْش : الجرح . والعارفَةُ : المعروف والإحسان . والمَطْلُ : التسويف والتأخيرُ. واللَّيَّان بفتح اللام وكسرها : التأخيرُ والمماطلة . أي لا تَجْرَحْ وَجْهَ معروفِك وإحسانِك بالتأخيرِ والتسويف ، فخيرُ البِرّ عاجِلُه .

٤٠ ـ نَدْب : مُنْجِد . حازم : ضابط للأمور . يَقِظ : نبيه واعٍ . والمعنى : لا تعتمد في استشارتك إلا على الرجلِ الشَّهْم المُنْجِد ، والضابطِ النبيهِ النَّقِيِّ النَّفْس ، الذي عُرِفَتْ سَرِيرَتُه كعَلاَنِيَتِه .

٤١ ـ أبرُّوا : غَلَبوا وفازوا على غيرِهم بحُسنِ الرأي وجَودتِه .يعني يُستشارُ في كل أمرٍ أهلُه وعارفوه .

٤٢ ـ أي الأمورُ لها أوقات مقدَّرة ، وحُدودٌ مُعيَّنة ، وموازين دقيقة ، فزِنْ كلَّ أمرٍ بميزانِه وحدِّه ووَقْتِه .

٤٣ ـ النُّضج : الاكتمال . والبُحْران بضم الباء وسكون الحاء ، لفظٌ مولَّد ، يوناني الأصل ، وهو عند الأطباء : التغيُّرُ الذي يَحْدُثُ للعليل دَفعةً واحدة في الأمراض الحادة: إلى الصحة أو إلى المرض ، فإن وَقَع بعدَ نُضْج مادة المرض فهو علامةُ الصحة والشفاء ، وإن وقع قبلَ نُضجِها فهو علامةُ الموت والهلاك . فعلى العاقل =

٤٤ كَفَى من العيش ما قد سَدَّ مِن عَوَزٍ ... ففيه لـلحُـرِّ إن حقَّقتَ غُنْيَانُ
٤٥ وذو القناعةِ راضٍ من معيشتِهِ ... وصاحبُ الحِرْصِ إن أَثْرَى فغَضْبانُ!

* * *

٤٦ حَسْبُ الفتى عَقْلُه خِلًّا يُعَاشِرُه ... إذا تحاماه إخوانٌ وخُلَّانُ
٤٧ هما رَضِيعَا لِبانٍ : حِكمةٌ وتُقًى ، ... وساكِنَا وَطَنٍ : مالٌ وطُغْيانُ
٤٨ إذا نَبَا بكريمٍ مَوْطِنٌ فلَهُ ... وراءَهُ في بسيطِ الأرض أوطانُ
٤٩ يا ظالِماً فَرِحاً بالعِزِّ سَاعَدَهُ ... إن كنتَ في سِنَةٍ فالدَّهْرُ يَقْظانُ

أن لا يَعجل في أمره كما قيل :

تأنَّ في الشيء إذا رُمتَه ... لِتَعرِفَ الرُّشْدَ من الغَيِّ
لا تَتْبَعَنْ كلَّ دُخانٍ تَرَى ... فالنارُ قد تُوقَدُ للكَيِّ
وقِسْ على الشيءِ بأشكالِهِ ... يَدُلُّك الشيءُ على الشيِّ

٤٤ - العيشُ هنا : ما يُتَبَلَّغُ به من رزق . والعَوَزُ : الحاجَةُ والفقر . والحُرُّ هنا المرادُ به : العاقلُ القانعُ العزيز . والغُنْيانُ بضم الغين وسكون النون : الاستغناء .

٤٥ - أَثْرَى : زاد مالُه وكثُر . وقوله : وصاحبُ الحِرصِ إن أثرى فغضبانُ . وذلك لطمعِه المتزايد ، فيَرى نفسَه دائماً في حاجةٍ إلى المزيد من الثراء ، ويغضبُ إذا لم ينل ذلك .

٤٦ - خِلًّا : صديقاً ناصحاً . والخُلَّان : الأصدقاء . أي يكفي الفتى الراشِدَ أن يَتَّخِذَ من عقلِهِ مُرْشِداً يَلجأُ إليه إذا تباعَدَ عنه الإخوانُ والأصدقاء .

٤٧ - رَضِيعَا لبانٍ أي يَرضعان من ثَدْيٍ واحدٍ ، فهما أخَوَان . وساكنا وطنٍ أي متلازمان لا ينفك أحدُهما عن الآخر غالباً . والمعنى : أن الحكمة والتقى أخوانِ لا ينفكان ، والمالُ والطغيان متلازمان لا يفترقان .

٤٨ - نَبَا بالمرءِ الموطنُ : ضاق عليه ولم يوافقه ولم يُسَرَّ به .

٤٩ - العِزُّ هنا : السَّطْوةُ والسُّلطان . السِّنَةُ : الغفلةُ الخفيفة . والمعنى : أيها الظالمُ السادِرُ في غَيِّه ، لا يَغُرَّنَّك ما أنت فيه من سطوةٍ وسلطان ، إن كنتَ في غفلةٍ عن هذا فإنَّ عينَ الله لا تنامُ عنك ، وما أسرَعَ ما يَنتقِمُ منك .

٥٠ مـا استَمْـرأَ الـظُّلْمَ لـو أنصفتَ آكِلُهُ وهــل يَلَذُّ مَـذاقَ المَــرْءِ خُـطْبَــانُ

* * *

٥١ يا أيها العالِمُ المَرْضِيُّ سِيرَتُهُ أبشِـرْ فأنتَ بغيـرِ الماءِ رَيَّـانُ
٥٢ ويا أخا الجهلِ لو أَصبحتَ في لُجَجٍ فــأنت مـا بينهـا لا شَــكَّ ظَمْــآنُ

* * *

٥٣ لا تَحْسَبَنَّ سُرُوراً دائماً أبداً مَنْ سَرَّه زَمَنٌ ساءَتْهُ أزمانُ
٥٤ إذا جَفَاك خليلٌ كنتَ تألَفُه فاطلُبْ سِواهُ فكلُّ الناسِ إخوانُ
٥٥ وإنْ نَبَتْ بــك أوطـانٌ نَشـأتَ بهـا فــارْحَلْ فكــلُّ بــلادِ اللّهِ أوطــانُ

* * *

٥٦ يا رافِلاً في الشَّبـابِ الرَّحْبِ مُنْتَشِيـاً مِن كأسِهِ، هل أصاب الرُّشْدَ نَشوانُ؟

---

٥٠ - استَمرَأ الشيءَ : استطابَهُ . والخُطْبانُ : الحنظلُ حين يأخُذُ في الاصفرار وتشتدُّ مَرارَتُه . ويقال في المَثَل : أَمَرُّ من الخُطْبان ، أي أَمَرُّ من الحنظل . والمعنى : أيها الظالم لو أنصفتَ لأقررتَ بأنَّ الظلمَ مَذاقُهُ مُرٌّ كالحنظل ، لا يَستسيغُه المرء ، وهل يَستطيبُ مَرارةَ الحنظلِ إنسان ؟

٥١ - ريَّانُ : مُرْتَوٍ . وأصلُ الارتواء الشِّبَعُ من الماء . والمرادُ هنا : الطُّمأنينةُ وغِنَى النفس والقناعةُ والرضا . والمعنى : أيها العالم الذي حَفِظَ أمانةَ العلم ، وسَمَا إلى شَرَفِه الرفيع بعَملِهِ به ، فلَهِجَتْ ألسنةُ الناس بالثناءِ عليه ، وأصبح فيهم عَطِرَ الذكرِ والسِّيرَة ، أبشِرْ فأنت بما أفاءَ الله عليك من تلك الخصالِ الرفيعة : قريرُ العين مطمئنُّ النفسِ والفؤاد .

٥٢ -اللُّجَجُ جمعُ لُجَّة ، وهي مُعْظَمُ الماء . وظمآن : عطشان . والمرادُ به هنا : محروم . والمعنى : أيها الجاهلُ الراضي بجهله ، لو غَمَرَتْك الدنيا بخيراتِها فأنت محرومٌ ظَمِيء ، لأنك فَقَدتَ نعمة العلم ، وبها تُسقَى العقولُ والقلوب .

٥٦ - رافلٍ : مختال مُتَبَخْتِر . مُنتشِياً من كأسِهِ ، معناه هنا : مُعجَبٌ مُدِلٌّ بحَيَوِيَّتِهِ وفُتوَّتِه . نَشْوَان : سَكْرَان . يقال في اللغة : انتَشَى فلانٌ أي بَدَأَ سُكْرُهُ . فشبَّه الشبابَ بالخمر ، والاغترارَ به بالنَّشْوَةِ والسُّكر . والمعنى : أيها الشاب المختالُ المُعجَبُ بشبابِهِ وقُوَّتِهِ الفَتِيَّة ، لا تَغترَّ بعُنفوانِ شبابِك وتأجُجِ قُوَّتِك ، فالشبابُ =

٥٧ لا تَغْتَرِرْ بشَبابٍ رائِقٍ نَضِرٍ فكم تَقدَّمَ قبلَ الشَّيبِ شُبَّانُ
٥٨ ويا أخا الشَّيْبِ لو ناصَحتَ نفسَكَ لم يكن لِمثلِكَ في اللَّذَّاتِ إمعانُ
٥٩ هَبِ الشَّبِيبةَ تُبْدِي عُذْرَ صاحِبِها ما عُذْرُ أَشْيَبَ يَستهويه شيطانُ؟!

* * *

٦٠ كلُّ الذُّنوبِ فإنَّ اللّهَ يَغفِرُها إنْ شَيَّعَ المَرْءَ إخلاصٌ وإيمانُ
٦١ وكلُّ كَسْرٍ فإنَّ الدِّينَ يَجْبُرُهُ وما لِكَسْرِ قَناةِ الدِّين جُبرانُ

* * *

٦٢ خُذْهَا سَوَائرَ أمثالٍ مُهَذَّبةً فيها لمن يَبتَغِي التِّبيانَ تِبيانُ

= عَرَضٌ زائل ، والانتشاءُ به حاجبٌ للعقل عن الهداية والرشاد ، وهل أَدركَ الرُّشدَ سكران ؟ . قال الإمام أحمد رضي الله عنه : ما شَبَّهتُ الشبابَ إلا بشيءٍ كان في كُمِّي فسَقَط !

٥٧ - رائق : مُعْجِب جميل . نَضِرٍ : حَسَنٍ ناعم . والمعنى : لا تَغترَّ أيها الشابُّ المتدفِّقُ حَيَوِيَّةً ونَضَارةً ونشاطاً بسِنِّ الشباب ، تَحسَبُ أنك تَعيشُ طويلاً ، فكم من شابٍّ اختطَفَتْهُ المَنِيَّةُ قبلَ الشيوخ الكبارِ المُسِنِّين .

٥٩ - الشَّبيبة : حداثَةُ السِّن ، تُبدي عُذْرَ صاحِبِها : تُظهِرُ عُذرَه ، لأن الشباب مَطِيَّةُ الجهل ، ويقال : مَظِنَّةُ الجهل . وأشْيَبَ : أبيضَ شعرِ الرأس من الشيخوخةِ وكِبَرِ السِّنّ .

٦٠ - شيَّعَ المرءَ : صاحَبَه .

٦١ - القناة : الرمح . والمراد بكسر قناة الدين : ذهابُ الدين وفقدُه . ومعنى البيت : كلُّ مُصابٍ في المالِ أو البدنِ أو الوَلَد . . . يُخفِّفُ الدِّينُ من وَقْعِهِ على الإنسان ، ويُعَوِّضُه عنه بالأجرِ والثواب . وأما المُصابُ في الدين فلا يُعَوِّضُه شيء ! فهو أكبَرُ مُصاب !

٦٣ ماضَرَّ حَسَّانَها ـ والطَّبْعُ صائِغُها ـ   أنْ لم يَصُغْها قَرِيعُ الشِّعْرِ حَسَّانُ

* * *

---

٦٣ ـ حَسَّانَها : قائلَها وناظِمَها . قَرِيعُ الشعر ، يعني به سَيِّدَ الشعر : الصحابيَّ الجليلَ حسانَ بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه . والمعنى : أنَّ هذه القصيدة التي انسابَتْ من قريحةِ شاعرٍ مطبوع ، وفاضَتْ بقلائدِ المعاني وروائعِ الألفاظ ، وتضمَّنَتْ بليغَ الحِكَمِ والمواعظ ، لا يُقلِّلُ من رَوْعَتِها وجمالِها أنَّ قائِلَها شاعرٌ مُحْدَث ، وليس الصحابيَّ الجليلَ سَيِّدَ الشعرِ حسَّانَ بن ثابتٍ رضي الله عنه .

المصادر والمراجع

١ ـ أبو الفتح البستي حياته وشعره للدكتور محمد مرسي الخولي . طبعة دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت سنة ١٩٨٠ .
٢ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي . الطبعة الثانية المنتهية طباعةً سنة ١٣٧٨ .
٣ ـ الأنساب للسمعاني . حيدر آباد الدَّكَن بالهند ١٣٨٢ وما بعدها .
٤ ـ تاريخ العُتْبِي المعروف باليميني للعُتْبِي معاصر البستي وصاحبِه . بولاق ١٢٩٠ .
٥ ـ جواهر الأدب لأحمد الهاشمي . مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٨٥ .
٦ ـ الحُلَل السندسية للأمير شكيب أرسلان . مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٣٩ .
٧ ـ ديوان البستي مطبعة جمعية الفنون في بيروت ١٢٩٤ .
٨ ـ شرح القصيدة النونية لحسين عوني العربكري التركي. إصطنبول ١٣١٢ .
٩ ـ طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكي ، بتحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطَّنَاحي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٨٣ وما بعدها .
١٠ ـ طبقات الشافعية للجمال الأَسنوي ، بتحقيق عبدالله الجبوري . مطبعة الإرشاد في بغداد ١٣٩٠ .

١١ ـ الفتح الوَهْبي على تاريخ العُتْبِي لأحمد المَنِيني الدمشقي . المطبعة الوهبية بالقاهرة ١٢٨٦ .
١٢ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة . إصطنبول ١٣٦٠ .
١٣ ـ المصون لأبي بكر الصُّولي . طبع حكومة الكويت فيها ١٩٦٠ .
١٤ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة . مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦ .
١٥ ـ المنتظَم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي . حيدر آباد الدَّكَّن بالهند ١٣٥٧ .
١٦ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي . إصطنبول ١٩٥٥ .
١٧ ـ وفيات الأعيان لابن خَلِّكان . الميمنية بالقاهرة ١٣١٠ .
١٨ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي معاصر البستي وصاحبِه . الطبعة الثانية للمكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٧٥ .